Islamic Culture in the Muslim World and the Factors Caused Its Weakness

Ali al-Sa'di [1]
PhD student, Al-Mustafa International University, College of Science and Knowledge, majoring in the history of Islamic civilization

Received: 2022/05/22 | Accepted: 2022/06/12

Abstract

By observing the society that the Holy Prophet (PBUH&P) created in his time, we can be certain that if their condition continued as they were, the civilization that they create would not be compared to any civilization throughout history, because the Islamic teachings that created that society are capable of creating it at any time and any place provided that they are applied correctly. That's because as it is said, "The specific feature of Islamic civilization is that it is not like a flowing river; rather, it's like the Kaaba in its steadfastness and unchangeability, and it is a sign of the continuity of Islam through the ages." These principles and advantages of Islamic teachings give the right to Islamic civilization to draw from the various sources that are compatible with its spirit, without harming its principles and fixed teachings.

Through studying the cases, this article tried to magnify the causes of cultural backwardness in the Muslim societies as a phenomenon, in order to obtain a somewhat successful approach to treat this problem in the Muslim nation. This phenomenon demonstrates to be almost one of the most significant problems in Muslim nations that one of its main causes is division and mis-interaction among Muslims. We seek to shed light on this important issue, whose treatment leads to confidence and self-reliance by benefiting from the Holy Book, the noble Sunnah, and the words of Islamic thinkers. By analyzing and studying these factors and knowing how to treat them, we come to the conclusion that Islamic and Quranic teachings are capable of advancing the Muslim society if they are used according to sound logic.

Keywords: Islamic culture, the Muslim world, Islamic teachings, weakness factors, Quranic principles.

1. **E-mail**: alialsaadi9876@gmail.com

دوفصلنامهٔ
زبان و فرهنگ ملل
سال۵، شماره ۹، بهار و تابستان ۱۴۰۱
صص ۳۲۰-۲۸۵

الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي وعوامل الضعف فيها

علی السعدی [۱]
طالب في مرحلة الدكنوراه، جامعةالمصطفى العالمية، كلية العلوم والمعارف، تخصص تاريخ الحضارة الاسلامية
تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۳/۰۱ | تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۰۳/۲۲

الخلاصة

من خلال ملاحظة المجتمع الذي أوجده النبي(ص) في زمنه نستطيع أن نجزم أنه لو ستمر حالهم على ما كانوا عليه لكانت الحضارة التي يصنعونها لا تضاهيها حضارة على مر التاريخ، لأن التعاليم الاسلامية التي صنعت ذلك المجتمع قادرة على أن تصنعه في أي زمان ومكان، ولكن بشرط الاستفادة الصحيحة منها، لانها كما قيل (ميزة الحضارة الاسلامية ليست كالنهر الجاري، بل هي كالكعبة في ثباتها وعدم تغييرها، وهي علامة على ديمومة الاسلام وثباته عبر الدهور). وهذه الاصول والمزايا التي تمتلكها التعاليم الاسلامية تعطي الحق للحضارة الاسلامية أن تقتبس من المنابع المختلفة التي تتلائم مع روحها، من دون أن تضر بإصولها وتعاليمها الثابتة التي لا تتغير.

حاولنا في هذه المقالة أن نجعل ظاهرة أسباب التخلف الثقافي في المجتمع الإسلامي تحت المجهر، عبر دراسة مصاديق هذا الأمر، لنحصل على نهج ناجح نوعا ما يعالج هذه القضية في الأمة الإسلامية. هذه الظاهرة تكاد أن تكون من أكبر مسائل الأمة الإسلامية أهمية، حيث ان من أكبر أسباب التخلف هو التفرقة و التعامل الخاطئ. فنحن نسعى أن نلقي الضوء على هذه المسألة المهمة التي تؤدي معالجتها الى حصول الثقة والإتكال على النفس من خلال الاستفادة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة وكلمات المفكرين الإسلاميين. فمن خلال تحليل ودراسة هذه العوامل ومعرفة طرق علاجها، نصل الى نتيجة مفادها: أن التعاليم الاسلامية والقرآنية قادرة على النهوض بالمجتمع الإسلامي إذا تم الإستفادة منها حسب المنطق السليم.

الكلمات المفتاحية

الثقافة الاسلامية، العالم الاسلامي، التعاليم الاسلامية، عوامل الضعف، المبادئ القرآنية.

---

1. **E-mail:** alialsaadi9876@gmail.com

المقدمة

ان الحضارة الحقيقية من المنظور الاسلامي هي التي توجه كل اجزاء الانسان الى الله والى فطرته الطبيعية، بحيث يمكنه من خلالها أن يستفيد من مقام خلافة الله على الارض التي منحه الله سبحانه إياها والتي خلق من أجلها، أن عظمة وحقيقة الحضارة الصالحة من نظر الاسلام هي بمقدار ما توجه الانسان الى الهدف الحقيقي الذي خلق من أجله وهو عبادة الله سبحانه، والتصرف بالشكل الذي يميزه عن بقية الحيوانات، لا الحضارة التي تعتبر قوتها وتقدمها بمقدار ما تنتج من آلات ومعدات حديثة تسهل عمل الانسان، بل المعيار الاساسي الذي يضعه الاسلام هو أن تكون الحضارة قادرة على أن توصل الانسان الى الهدف الحقيقي الذي خلق من أجله[١].فمن خلال ملاحظة المجتمع الذي أوجده النبي (ص) في زمنه نستطيع أن نجزم أنه لو ستمر حالهم على ما كانوا عليه لكانت الحضارة التي يصنعونها لا تضاهيها حضارة على مر التاريخ، لأن التعاليم الاسلامية التي صنعت ذلك المجتمع قادرة على أن تصنعه في أي زمان ومكان، ولكن بشرط الاستفادة الصحيحة منها، لانها كما قيل (ميزة الحضارة الاسلامية ليست كالنهر الجاري، بل هي كالكعبة في ثباتها وعدم تغييرها، وهي علامة على ديمومة الاسلام وثباته عبر الدهور)[٢]. وهذه الاصول والمزايا التي تمتلكها التعاليم الاسلامية تعطي الحق للحضارة الاسلامية أن تقتبس من المنابع المختلفة التي تتلائم مع روحها، من دون أن تضر بإصولها وتعاليمها الثابتة التي لا تتغير[٣]. أما الامور التي لا

١. انظر: سيد حسن نصر: تأملاتي درباره انسان وآينده تمدن، ترجمه: مرتضى فتحي زاده، پزوهشهاى علوم انساني (فصلنامه دانشگاه قم)، سال أول، شماره چهارم، ١٣٧٩ش، ص١١٦.

٢. انشاء الله رحمتي: انسان وتنگناهاي انسان متجدد، تهران، دفتر پزوهش ونشر سهروردي، ط١، ١٣٨٣ش، ص٢٦٧- ٢٦٨.

٣. انظر: سيد حسن نصر: علم وتمدن در اسلام، ترجمه: احمد ارام، تهران، شركت انتشارات علمي و فرهنگي، ط٢، ١٣٨٤ش، ص١١ و١٢.

تتلائم وروح الاسلام فأنه يطردها ولا يتقبلها، وهـذا لا يتعـارض مـع وحـدت التعـاليم الاسلامية، أو تنوع الاديان والقوميات التي عاشت تحت ظل الحضارة الاسلامية.

إن تأثير الدين باعتباره عامل تنظيم نفسي، تأثير رئيس في الانسان والمجتمع، من حيث أنه يعمل في صورة مبادئ موجهة تنطبع في ذاتيـة الانـا لتصـبح دوافـع و قواعـد للسلوك، ومن هنا يتدخل الدين مباشرة في تكوين العناصر الاساسية للشخصية الانسانية التي تكون الانا الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقـة الحيويـة التـي تضـعها الغرائـز فـي خدمة هذه الانا، ولما كانت هذه الطاقة الحيويـة المنظمـة تتحـول الـى نظـام اجتمـاعي لدى الفرد، وكان هذا النشاط لدى الفرد سببا في وجود النشاط المشترك للمجتمع، فان هذا يكشف أهمية الدور الثقافي والاجتماعي والحضاري للدين[١].

ويشهد التاريخ الحضاري على أهمية دور الدين في الاقلاع أو البعث الحضـاري، حيث يرى مالك بن نبي أن دورة الحضارة تبدأ عندما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة، أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين على حد قول (كيسرلينج)، كما انها تنتهـي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التـي كانـت لهـا علـى الغرائـز المكبوتـة أو المكبوحـة الجماح[٢].

ومهما كثرت عوامل الضعف فـي ثقافـة المسـلمين، فأننـا اذا رجعنـا الـى التعـاليم الاسلامية، وعلى رأسـها المبـادئ التـي وضـعها القـرآن الكـريم، فإننـا سـنجد الحلـول المجدية لهذه العوامل، وسوف نقوم بهذا البحث بوصف بعض عوامل الضـعف تلـك، ثم وصف العلاج لها من نفس التعاليم الاسلامية والقرآنية الشريفة.

١. انظر: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مشكلات العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شـاهين، دار الفكـر، بيروت، ١٩٧٤م، ص٦٩ وما بعدها.

٢. مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، بلا ت، ص٧٠.

تمهيد

الثقافة

الثقافة لغة: مادة (ثقف) في اللغة لها دلالات، ومنها: التقويم، والادراك، والحذق، يقال: ثقف الشيء: أقام المعوج، ومنه: ثقفت الرمح أقمت المعوج منه، وسويته. والثقاف والمثقف: أداة من خشب أو حديد تقّوم بها الرماح لتستوي وتعتدل. والمعنى الثاني لمادة (ثقف): الادراك والملاقاة وجها لوجه[۱]. وفي هذا المعنى قوله تعالى: (فأما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)[۲]. وتدل كلمة ثقف على الحذق والمهارة ومنه قولهم: فلان ثقف لقف، أي حاذق يتلقف المعلومات، ويستوعبها بسرعة[۳].

فالحذق والفطانة وهي المهارة، والفهم والضبط، وسرعة التعلم والذكاء كلها معان وصفات وثيقة الصلة بما نسميه اليوم (المثقف)، وهي لوازم لما نتعارف عليه اليوم بعمليات "التثقيف والتعليم والتعلم". بل أن تقويم المعوج وتسويته وتهذيبه وإصلاحه وتقويمه معان ودلالات ذات عرى وثيقة بالغاية والمقصد من وراء هذه العمليات. ولذلك قال الزمخشري في أسس البلاغة في مادة (ثقف):(... وثقفت العلم أو الصناعة في أوهى مدة، اذا اسرعت أخذه... ومن المجاز: أدبه وثقفه، ولولا تثقيفك وتثقفك ما كنت شيئا، وهل تهذبت وتثقفت إلا على يدك؟)[٤]. كما أن مجمع اللغة العربية قد أقر هذه الدلالات الجديدة التي صار اليها لفظ (ثقافة) فيقال: ثقف الانسان: أدبه وهذبه، تثقف: تعلم وتهذب، الثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحذق

---

۱. الراغب الاصفهاني: المفردات، مادة (ثقف)، ص ۱۰۷. و ابن منظور: لسان العرب، المجلد التاسع، بيروت، دار صادر، مادة (ثقف)، ج۹، ص۱۹.

۲. الانفال: ۵۷.

۳. الدكتور مصطفى مسلم، والدكتور فتحي محمد الزغبي: الثقافة الاسلامية (تعريفها، مصادرها، مجالاتها، تحدياتها)، اثراء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الاولى، ۲۰۰۷م، ص۱۷.

٤. الزمخشري: آساس البلاغة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۸۵م، ص۹٦.

فيها[١].

أما الثقافة اصطلاحا: فإن اللفظ العربي (ثقافة) هو ترجمة للفظ الأجنبي (culture) في اللغات الأجنبية، الفرنسية والإنجليزية والألمانية، وأصله من اللفظ اللاتيني (cultura)[٢]. وكانت هذه الكلمة من حيث الأصل اللاتيني في العصور القديمة والوسيطة تطلق على تهذيب الأرض واستنباتها وتنمية محصولاتها. وكانت في السابق تستخدم في المعنى المجازي أي فلاحة العقل أو التنمية، وأول من استخدمها في هذا المعنى هو (شيشرون ١٠٦-٤٣ ق. م) مؤكدا أن دور الفلسفة هو تنشئة الناس على تكريم الالهة، وقد ظلت الكلمة هكذا حتى القرون الوسطى، حين أطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية[٣].

وبعدها تطور معنى هذه الكلمة وصار يدل على مجموع ثمرات الفكر في ميادين الادب والفن والفلسفة والعلم والقانون[٤]. واستعملها البعض بمعنى العمل الذي يبذله الانسان لغاية تطويرية، سواء أكانت مادية أم معنوية[٥]. وهذه التعريفات كانت تنظر الى الغاية المتوخاة من الثقافة، وهي حالة صقل العقل والذوق والفكر، ويوجد من عرفها حسب المحتوى والمضمون، مثل إدوارد تايلور حيث عرفها بأنها " ذلك المجمل المتشابك المشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والاخلاق والقانون والعادات، وكل القدرات والممارسات الاخرى التي يكتسبها الانسان كعضو في جماعة[٦].

وقد تطورت دلالة هذه اللفظة (الثقافة) لتعبر عن العلوم والمعارف والفنون التي

---

١. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، ج١، ص٩٨، مادة ثقف.

٢. د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، بلا ت، ص١٤٦.

٣. انظر: عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م، ص٢٩. وكذلك د. نصر محمد عارف : ص١٩.

٤. انظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت، دار الفكر، بلا ت، ص٢٥-٢٦.

٥. د. نصر محمد عارف: الحضارة- الثقافة- المدنية، ص٢٠.

٦. د. عبد المنعم حفني: الموسوعة الفلسفية، ص١٤٦.

يطلب الحذق فيها، وهذا المعنى قصده فولتير، وقصده فوفتارج عندما تحدث عن حالة صقل العقل والذوق والفكر، وعندما تحدث عن المعارف الفنية والعلمية والفلسفية القابلة للتعلم[1]. ونلاحظ حين البحث عن هذا المفهوم أنه لم يكن هناك إجماع بين الباحثين الغربيين على هذه الدلالات للفظ culture، فهناك من استخدمها، احيانا، بمعنى الحضارات البدائية، حيث تختص كلمة civilization عندهم بمعنى الحضارات العليا وحدها، بل وأحيانا أخرى تطلق كلمة culture على الحضارة في كل مستوياتها، وهذا التداخل في الاستخدام أحدث نوعا من اللبس في الدلالات والمفهوم حين ترجم الى العربية[2]. وهذا يعد وضعا للمعاني بإزاء الالفاظ لمناسبة بين المعاني الجديدة المكتسبة والمعاني الاصلية أو التي وضعت ابتداء بإزاء اللفظ، وهو كذلك في مفهوم الاصطلاح[3]. إن من يتأمل دلالات هذا اللفظ يجد ترابطا وثيقا بالمعنى بين دلالات اللفظ في اللغة العربية ودلالات اللفظ في اللغة الانجليزية، ولكن مع وجود هذا الترابط بالمعنى سواء في اللغة أم في الاصطلاح، لكنه يختلف على مستوى النسق الفكري الذي يدل عليه المصطلح، حيث تختلف الانساق والمنظومات الفكرية والمفاهيم الفرعية المتشابكة والمرتبطة من لغة الى اخرى، حيث كل منهما لديها نسق معرفي مستقل ورؤية متكاملة للكون والحياة.

إن تعاريف الثقافة كثيرة لا يمكن حصرها، ولكننا أتينا ببعضها لنحصل على تصور واضح لهذا المفهوم، فمن التعاريف الاخرى مثلا ما عرفها رالف لينون بأنها: (التشكيل الخاص بالسلوك المكتسب ونتائج السلوك الذي يشترك جميع أفراد مجتمع

---

۱. انظر د. أحمد حمدي محمود: الحضارة، القاهرة: دار المعارف، ۱۹۷۷م, ص٦.

۲. فؤاد السعيد ، و الدكتور فوزي خليل: الثقافة والحضارة ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هجري- ۲۰۰۸م، ص۹۷.

۳. انظر: د. حسين مؤنس: الحضارة (دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها) ط۲، سلسلة عالم المعرفة، ۲۳۷، الكويت، ۱۹۹۸م، الصفحات ۳۹٤- ٤۰۲. و مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ص۱۹ – ۲۵.

معين في عناصره المكونة ويتناقلونها)[١].

وقيل هي مجموعة من اساليب الحياة الانسانية التي تنتقل من نسل الى نسل آخر[٢]. وقيل هي خصوصيات الحياة الانسانية أو الجوانب التي يتمايز بها الانسان عن الحيوان[٣]. وقيل هي عبارة عن العلوم والعقائد والفنون والقوانين الاخلاقية والعادات والمؤهلات، التي يكتسبها الانسان باعتباره عضوا من المجتمع[٤]. وهذا التعريف الاخير هو الاقرب الى المعنى المطلوب من وجهة نظرنا.

المبحث الأول: عوامل الضعف في ثقافة المسلمين

١. التعصب

قد نرى هذه الحالة في كثير من المجالات أن بعض الذين ينشرون هذه الحالة، هم من علماء المذاهب و عليهم إسم عالم الدين لكن يقومون بأفعال غير دينية – يعنى ايجاد التفرقة بين الطوائف الإسلامية و الحكم عليهم بالكفر و الزندقة و ...- ويكون ذلك باسم الدين [٥] و لا يلتفتون للقاعدة التي ألقاها الله علينا فى كتابه عندما قال تعالى: "وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْني مِنَ الْحَقّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَليمٌ بِما يَفْعَلُونَ." [٦] ويكفينا لفهم أهمية هذا الموضوع مراجعة أقوال وسيرة شيوخ العلماء الكبار وحذاق النقد، الذين كانوا يوصون تلاميذهم بالعناية إلى المصادر الأصلية ونهيهم عن التقليد

---

١. عبد الاله علي البلداوي: الدور الجضاري للشيعة الامامية، الطبعة الاولى، ٢٠١٢م، ج١، ص٣٤.

٢. مجيد محمدي: درامدى بر جامعه شناسي واقتصاد فرهنك در ايران امروز، قطرة، طهران، ط٢، ١٣٧٧ش، ص٢١.

٣. محمد رضا كاشفي، تاريخ الثفافة والحضارة الاسلامية، تعريب: انور الرصافي، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم، ١٩٩٢ش، ص٢٨.

٤. سايمون كولمن و هيلين واطسون:درامدى بر انسان شناسي، ترجمه: محسن ثلاثي، سيمرغ، تهران، ط١، ١٣٧٢ش، ص٥.

٥. يونس:٣٦.

٦. يونس:٣٦.

الأعمى فى البحوث العلمية.[1] كما أشار الآية الكريمة: "وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه"

لو نظرنا الى القرآن الكريم بأكمله فلن نجد حالةً يظهر فيها الاختلاف السلبي إلا فيما يسمّى بالبغي، فحينما يتمّ الاعتداء من جماعة على جماعة أخرى، فمن حقّ الأولى أن تدافع عن نفسها، أمّا فيما يتعلّق بسائر أشكال الاختلاف الفكري، فلا يحقّ لأيّ جماعة أن تعتدي على الأخرى، وهذه الرؤية تحاول أن ترسّخ مفهوم الوحدة على أنّه أصل أوّلي في علاقات المسلمين، وليس أصلاً ثانوياً، بمعنى أننا لا نتوحّد إلا لأنّ (إسرائيل) و(أميركا) موجودتان فقط، بحيث لو زال الخطر الإسرائيلي فعلينا أن نعود للاختلاف!

هذا وإنّه في الخلاف السياسي غالباً ما يعجز المسلمون في العالم الإسلامي عن تدبير خلافاتهم بصورة حوارية، فيميلوا إلى الإلغاء و الإقصاء ومصادرة حقّ الطرف الآخر في الوجود، وفي الحقل الديني والمذهبي تلعب التمثلات التاريخية دورها في إفساح المجال أمام التعصّب ولغة تكفير الآخر كوصفة جاهزة .. فينبغي على التقريبيين أن يوجدوا معيار معرفي وثقافي متفق عليه ومستند على ركن وثيق لإحراز مقبوليته في الأوساط الإسلامية، وذلك لكي يسمح بفهم هذه الظاهرة من خلال إيجاد مناخاً معرفياً تعدّدياً يؤمن بالتعدّدية بوصفها فكرة فلسفية وليست رؤية اجتماعية فحسب.

فإنّه لا ينبغي السعي - لحلّ أزمة العلاقة بين المسلمين - وراء وصفات من داخل المنظومة الدينية فحسب، أعني من التراث نفسه، وهي قضية بالغة الخطورة، فالحلّ ينبغي أن يكون من النظام المعرفي الذي نقرأ فيه الدين، وليس فقط في القضايا الدينية المبثوثة في الكتاب والسنّة، لأنّ النظم المعرفية قادرة بيسر وسهولة على إفراغ النصوص الدينية التقريبية من مضمونها، بفعل جملة عناصر تاريخية ونصيّة أيضاً، فما

۱. الوحدة الإسلامية، عناصرها و موانعها، ص ۵۰.

لم نوجد مناخاً معرفياً تعدّدياً يؤمن بالتعدّدية بوصفها فكرة فلسفية وليست رؤية اجتماعية فحسب، فإنه من البعيد أن نجد حلاً؛ فالمشكلة من العقل الذي يقرأ الدين، وليست من النصوص الدينية، مع الاحتفاظ بدور بعض النصوص التي نسبت إلى الدين وهي بعيدة كلّ البعد عن روح الدين ونصّ القرآن الكريم والتي قد تقوم بدور تمزيق المسلمين.

٢. المصالح الشخصية

بعض حكّام البلدان الإسلامية لضعف دوافعهم الدينية وفقدان الإرادة المستقلة أو لأنهم عملاء أو لطغيانهم وغطرستهم يثيرون الصراع ويؤججونه بين السكان المحليين. وكما أن هذه الحالة أحيانا تؤدي إلى النزاعات بين البلدان الإسلامية، وبين السنّة والشيعة أو الحنابلة والأشاعرة أو الحنفي والشافعي والمالكي. رغم أن هناك دواعي و طموحات بين الشعب المسلم للتعامل فى المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية والأمنية والعسكرية و ...؛ لأجل هذا نرى أن محمد بن جرير الطبري (عام ٣١٠ هـ) يدفن بداره ليلاً لأن العامة منعت من دفنه نهاراً.» [١] و هؤلاء يعملون ضمن خطة دقيقة مدروسة لإثارة النزاعات الطائفية، بل والحروب الدامية الإقليمية والمحلية كي لا تستقر روح التعامل الثقافي والتطور الثقافي بين المسلمين. إذن المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكام جعلتهم يمزقون الصفوف الواحدة للمسلمين ويجعلونهم فرقا مختلفة قد يفسق ويكفر بعضها البعض وهذا الأمر قد شهدناه في العصور المظلمة الماضية واليوم أيضاً حيث يستغل البعض نفوذه ليثير العامة بل ربما بعض المنتسبين لأهل العلم لتحريك النزاعات الطائفية الهدّامة للثقافة الإسلامية.

فى هذا الإطار يوصف أحد الكتاب المؤرخين بعض حروب الطوائف، بتحريك السلطات الحاكمة و يقول: «و كانت لا تمر سنة دون عنف بين ما وصف بفرق السنة وفرق الشيعة في سائر أرجاء المنطقة العربية الإسلامية، فقد تولّى الترك بأنفسهم

١. حول الوحدة و التقريب، ص١٦٨. ؛ الوحدة الإسلامية، عناصرها و موانعها، ص٤٥.

عمليات القمع الطائفي ضد الشيعة ... وكان أكثر الضحايا من منطقة (الشاكرية) ببغداد».[۱] ويستمر في الحديث عن دور حكومات الطوائف في تحريك الفتن في مصر، وعن الاقتتال الطائفي بعد قيام حركة الزنج في سواد جنوب العراق وامتداد النزاع إلى المدينة المنورة وإلى طبرستان وتواصلت إلى شمال أفريقيا و ... ويكفي أن نذكّر بدور النزاع العثماني الصفوي في خلق الفتن الطائفية الداخلية وإضعاف الأمة الإسلامية والثقافة الإسلامية مما جرّ بالتالي إلى أن تفقد شوكتها وعزتها أمام التحديات الموجودة فى عصره.[۲]

إنّ الغرب ربى أناساً من أهل البلاد الاسلامية، من الذين كانوا يقربهم إليه، ويدنيهم، وقد آل أمر الحكم في هذه البلاد إلى أولئك الذين كان قد اصطفاهم أعداء الإسلام، وأولئك يؤمنون بمن اختارهم، ولذلك كانوا على ولاء مع أولئك. ولذلك نذكر هنا ما قاله محمد أبو زهره: «وصار المسلمون اليوم تتفرق حكوماتهم فمنهم من يوالون الغرب في إنجلترا وامريكا، ويرتمون فيهم، ويجعلون لهم نفوذاً بغير الجيوش التي تجوب الديار، ولكن بالاتجاه الفكري، والمعونات المالية والعسكرية على أساس ألا يعملوا فيها إلا ما يريده الذين اعطوهم، ومن هؤلاء من يوالون الشرق، ويستمدون منهم المال والسلاح، ويتكلمون بنغمتهم، ويجعلون أنفسهم لهم تبعاً، ومنهم يتوسطون فيميلون لهذا تارة، وللآخر أخرى، وبذلك اختار حكام المسلمين التبعية، ولم تفرض عليهم، والمتبوع دائماً لا يشجع الإسلام بل لا يريد أن يكون تابع للإسلام خالصاً، والشعوب ليست وراء الحكام، بل هم منفصلون عنهم شعوراً وإيماناً، ورغبة في الوحدة والاتحاد بين المسلمين والاندماج في وحدة إسلامية جامعة . وأول الطريق أن ننخلع من نير الأجنبي، فلا يقال عن حاكم ما أنه ينزع منزعاً غريباً وأنه ذو الحظوة عند

۱. قصة الطوائف، ص۲۳۳.

۲. تسخيرى، محمد على، موانع فى طريق التقريب، كانون ثان ۲۰۱۰.

أمريكا، أو إنجلترا، أو غيرها، بل تكون نزعته إسلامية خالصة ... ولسنا نريد أن نقطع العلاقات بين أي حاكم، وأي أجنبي، بل نريد أن يكون الحاكم أياً كان لونه رئيساً أو ملكاً، أن تكون كلمة الإسلام هي العليا، وأن تكون العلاقات كلها دون العلاقة الإسلامية بحيث تكون هي الرابطة الأولى، إليها تتجه النفوس وتتحرك لها الغايات. ويكون الإسلام هو المستغرق للنفس المستولي عليها الذي لا تعرف سلطاناً لغيره، مهما يكن سلطان القوى . ولكن حكام المسلمين لا يزالون في غرة من أمر الذين أذاقوا البلاد الإسلامية الوبال، مع أن نيات العداء لا تزال واضحة للعيان ... ثانيها: التعارف الإنساني، وقوة التآخي، والشعور بأن المسلمين جسم واحد. ثالثها: التعاون في دفع الضر، وجلب الخير، والتعاون في الكسب الطيب، والتعاون في أخذ خيرات الأرض بحيث يأخذ كل إقليم مما عند الآخرين، وقد وجه الله سبحانه وتعالى الحجج إلى ذلك بجوار أداء النسك، فقال تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ ... الضَّالِّينَ)، وأقرأ قوله تعالى: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ... الْفَقِيرَ)»[1].

٣. ضعف وسائل التوعية

يجب صناعة إعلام مكثف للدفع باتجاه التقريب، حيث باتت وسائل الإعلام في عصرنا الراهن تمثل مركزاً لبلورة الأفكار الاجتماعية والحس الاجتماعي، حيث يتوجب على المتجهين نحو تحقيق الوحدة والتقريب الإسلامية على تعزيز حضور الإعلام التقريبي الوحدوي اجتماعياً على المستوى العالمي، بواسطة جناحي الفكر والحس، لا ينبغي عليهم أن ينظروا إلى وسائل الإعلام بعين الأمر الهامشي، حيث عليهم أن لا يسجلوا لهم حضور بشكل هامشي وصوري في الساحة الإعلامية، خصوصاً وأنّ التفرقة والانقسامات تنطلق اليوم عبر وسائل الإعلام وتتغذى منها.

١. أبو زهره، محمد، الوحدة الإسلامية : ص٢٣٢ .

۴. إختلاف المذاهب

من أهم أسباب التخلف الحضاري والثقافي هو الإختلاف المذهبي وفي الواقع، المسلمون اختلفوا منذ القرن الأول الهجري في الأصول وبعض الفروع. هذا الإختلاف سبّب ظهور مدارس فقهية وعقائدية وسلوكية عديدة على مرّ التاريخ. كما نرى المسلمين اليوم انقسموا إلى سنة وشيعة على عدّة مذاهب مشهورة في الفروع وعلى مذهبين مشهورين في الأصول هما مذهب الأشاعرة ومذهب المعتزلة. ويوجد أيضا "الإباضية" ولهم مذهبهم الخاص في الفقه والكلام. والشيعة فأشهرهم الإمامية الإثنى عشرية وهناك أيضاً الزيدية، والإسماعيلية. فى هذه المذاهب هناك من هو على هدى القرآن و السنة، و هناك من تسربت إليه عقائد باطلة. وربما يكون «الجهل» هو السبب الرئيس كقضية الخوارج الذين شهروا السيف بوجه المسلمين وكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم كبعض السلفيين الإفراطيين والوهابية الذين يرون الإتحاد مع الصهاينة أفضل من الإتحاد مع باقى الفرق الإسلامية و يقفون جنب إسرائيل ضد الفلسطينيين. أو هناك أغراض دنيوية تؤجّجّ نار الحروب الطائفية مما يؤدى إلى التفرق أكثر فأكثر. على أية حال نحن نرى أن يد القوى المتجبرة لا تزال واضحة كل الوضوح في النزاعات بين السنّة والشيعة، بل وبين أبناء المذهب الواحد من المسلمين.[۱] لكن المحقق الذكي يعرف أن الإختلاف المذهبي بنفسه ليس مدعاة للنزاع، لكن اقترانه بالجهل وكذلك الأطماع الدنيوية تثير النزاعات وتسفك الدماء، باسم الدين. وإنزال الكتب والرسالات السماوية وإرسال الأنبياء كان ليرشدوا الناس إلى طريق الهدى و الصلاح، وليحكموا في الخلافات والنزاعات للناس بالحق والعدل كما يقول تعالى: "كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ وَ مُنْذِرينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فيهِ إِلاَّ الَّذينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما

۱. الوحدة الإسلامية، عناصرها و موانعها، ص۳۸.

جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللهُ يَهْدي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ» [١] ولكن يحدث الإختلاف في العقائد الإلهية من خلال تأثير الهوى في الإنسان حيث سيطر على سلوك بعض الناس و تحول إلى إله يعبدونه من دون الله. فعندئذ انحرف الإنسان عن فطرته التي اختفت تحت ركام السيئات و الإنحرافات. و هذا هو الأمر الذي أدى إلى التمرد وعداء الله و نداء الرسل و الأنبياء في التوحيد الإلهي و الإيمان بالوحي و الرسالة و النداء الأخلاقي و الإصلاحي للمجتمع الإنسانى في تحقيق العدل والقسط والرقي العلمي والثقافي في الأمة الإسلامية:«أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْديهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» «وَ قالُوا ما هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ» [٢] وكذلك: «وَ لا تَكُونُوا كَالَّذينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ» [٣] ؛ «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَريعُ الْحِسابِ» [٤]

وإن النعرات الطائفية ظاهرة شهدها العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام، فبعضها طبيعي يعود إلى طبيعة المجتمع البشري، وبعضها الآخر مفتعل استحدثه المغرضون لأهدافهم الخاصة، وخلال عصور تاريخية مختلفة استغلت هذه الاختلافات لأغراض شخصية مِن قبل أفراد لا يؤمنون بالإسلام أصلاً، ولعبت السياسة على مرّ التاريخ الإسلامي دوراً كبيراً في بروزها أو ضمورها، وهذه المسألة واضحة لكلّ باحث في التاريخ الإسلامي، والجانب الكبير من تفشي هذه النعرات يعود إلى جهل المسلمين، فرعاع الناس كانوا دوماً وقود النزاعات الطائفية واداة بيد المغرضين يستغلون تعصبهم

١. البقرة: ٢١٣.

٢. الجاثية: ٢٣ – ٢٤.

٣. آل عمران:١٠٥.

٤. آل عمران:١٩. و النحل: ٦٣ – ٦٤. و الشورى: ٧ – ٨.

الأعمى إلى هذه الجهة أو تلك، فيثيرون المعارك والاشتباكات، فلكي نخطوا خطوة إلى الأمام لابدّ أن نعمل على إزالة هذه النعرات الطائفية بين المسلمين، حتى يتحسس المسلمون أجمع أن مشكلتهم واحدة هي طواغيت الأرض الذين انقضوا على أمتنا الإسلامية وسلبوا ثرواتها.

٥. العصبية

ظاهرة صرح بها القرآن الكريم حينما عبّر عنها بالشعوب و القبائل [١] حيث قال سبحانه: «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ»[٢] ومما زاد فى الطين بلة كان الدور المخجل لحكام بنى أمية فى إثارة التمييز العنصري، واليوم السياسة الإستعمارية تلعب دورهم في إثارة العنصريات القومية بين شعوب البلاد الإسلامية. [٣]

لا شك في أن العصبية المعروفة بالقومية ممنوعة بإجماع المسلمين وتُعَدُّ من مصاديق النداء برابطة غير رابطة الإسلام الذى شدد الإسلام على حذفها من المجتمع الإسلامى منذ بزوغ فجره النابع. و من أصرح الأدلة على ذلك ما رواه البخاري عن جابر بن عبدالله (رض) في صحيحه فى باب قوله تعالى: "يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنينَ وَ لكِنَّ الْمُنافِقينَ لا يَعْلَمُونَ" [٤]: "كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار !! و قال المهاجري يا للمهاجرين !! فسمَّعَها الله رسوله قال: «ما هذا» ! فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار و

---

١. الحجرات: ١٣.

٢. حجرات:١٣.

٣. الوحدة الإسلامية، عناصرها و موانعها، ص٤٧.

٤. منافقون:٨.

قال المهاجري يا للمهاجرين، فقال النبي (ص): «دَعُوها فَإنَها منتَنَةٌ...» [١] كما أخرج مسلم حديث جابر هذا في صحيحه و في روايته: فقال رسول الله (ص): «ما بالُ دَعوَى الجاهِلِيَة... .» و يقول الشنقيطي: «... لا خلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير الإسلام، كالقوميات و العصبيات النسبية، و لا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام و إزالتها بالكلية، فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي هو أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، أو رفض الرابطة السماوية رفضا باتا... فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفا من الإسلام، و استبدالها به صفقة خاسرة.» [٢] ومثل هذه العصبيات سبَّبت وسوف تسبّب -إذا لا نعالجها- التأخر العلمي والثقافي في البلدان الإسلامية وبين المسلمين. وإذا دققنا أكثر فى التاريخ، نرى شيوع لغة بعيدة عن الموضوعية وروح الإسلام يعنى لغة الطعن ولصق التهم ونسبة الألقاب السيئة إلى الخصوم بين أصحاب المذاهب الإسلامية. الشيء الذى يؤجج نيران العصبيات ويبعد الساحة الإسلامية عن الحوار العلمي الهادئ المطلوب الذي تنتج منه المعالم الثقافية والحضارية. مثل لقب «العامة» و«الخاصة» و «النصيرية» و «الرافضة» و غيرها من الألقاب التي ليس فيها نفع؛ ولا فائدة فيها إلا نشر الخلافات وبث الفرقة وهذا ما يطلبه أعداء الأمة الإسلامية.[٣]

فلا بد لنا أن نحقّق الجوّ الهادئ المطلوب للتعامل الحسن ولا نتلمس العثرات كي لا تمنعنا من تحقيق النتيجة المطلوبة. ولا يسير تعاملنا مثل بعض التعاملات فى ساحة الحوار بين مسلم ومسيحى مثلا لأنه فى بعض الأحيان الطرف المسيحي يحمل أحقاده الصليبية و إيحاءات المستشرقين (الهرطقة الإسلامية) و يحمل الطرف المسلم سوابق ذهنية كبيرة عن خدمة التبشير المسيحي للإستعمار. حينئذ لا بد لنا أن نقوم

١. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: «يقولون لئن رجعنا إلى المدينة.»
٢. أضواء البيان، ج٣، ص٤٤٥.
٣. الوحدة الإسلامية، عناصرها و موانعها، ص٥١.

بالعمل الجاد و التوجه للتعليمات الإسلامية الهادية و الداعية لحسن الظن في الأخ المسلم حتى يمنع من أن يلعب هذا العامل دوره في المنع من التقريب، خاصة إذا عمل العلماء كإخوة في مجالات العلم والإخلاص والعمل في سبيل تحقق وحدة الأمة وبناء الحضارة الإسلامية من جديد.[1]

۶. هوى النفس

قد بدأ الإختلاف في الحياة الإنسانية بسبب تأثير الهوى الذي أودعه الله تعالى في النفس البشرية كقوة جاذبة توازن في عملية الإرادة و الإختيار قوة العقل و الفطرة الإنسانية، حيث يعتمد الهوى بالأصل على رؤية الأمور عملياً من خلال المحسوسات المادية فقط، و الحاجات الأمنية الدنيوية التي تتطلبها الغرائز الإنسانية، مقابل العقل الذي يعتمد على الرؤية الصحيحة و الدقيقة لواقع الكون و الحياة، و النظرة إلى الحياة الإنسانية على أساس أنها حياة لها امتداداتها الغيبية في المبدأ و المعاد، و أن لها حاجات مادية و روحية معا. فأُمِرْنا بأن نوجد التوازن بينهما في العمل و السلوك: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زينَةَ اللهِ الَّتي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»[2]

فنجد الهوى يدعو عمليا إلى إطلاق العنان للغرائز والشهوات، ويدعو أيضاً إلى الإهتمام بالمصالح الخاصة الذاتية من خلال رؤية الإنسان لذاته ومن هنا نجد هذا النوع من الناس الماديين مختلفين في اهتماماتهم بالذات، حيث إن بعضهم يركز على شخصه أو عشيرته أو أسرته أو على القضايا الجنسية أو المالية أو الجاه أو المناصب وغير ذلك من الشهوات. في مقابل ذلك نجد العقل يدعو إلى السيطرة على الغرائز وإخضاعها إلى الضوابط والقيود وتوجيهها في السلوك وفقاً لما تقتضيه مسيرة التكامل الإنساني الشامل.

---

۱. مقالة «موانع فی طریق التقریب»، موقع المجمع العالمی للتقریب.

۲. الأعراف: ۳۲. و آل عمران:۱٤. و الحدید:۲۰.

وكذلك يدعو العقل إلى الإهتمام بالمصالح الإنسانية العامة مثل التضحية والفداء والمعاناة والآلام والبذل والإنفاق والإيثار، وكذلك العشيرة والأسرة والقبيلة والوطن والناس لهم معان أخرى تصب في سبيل الله ورضوان الله والوصول إلى الدرجات العليا: "وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدّيقينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفيقًا" [١]

لكن عندما يتبع الإنسان الهوى ويخرج على توجيه العقل يوجد الإختلاف بسبب عدوان أصحاب الهوى على الناس والكون، والتناقض بين المصالح والإرادات، والتنافس غير الشريف على الجاه والسلطة والشهوات بين الناس. يبدو من القرآن الكريم أن هذا النوع من الإختلاف هو: أول الأنواع التي ظهرت في التاريخ الإنساني وهي التي كان يتوقعها الملائكة لطبيعة خلق هذا الإنسان: «وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَليفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ»[٢]

ويمكننا أن نعد من مصاديق الإختلاف بسبب الهوى، الإختلاف بسبب الجهل والطغيان وتحول بعض الممارسات السلوكية إلى تقاليد مقدسة لوراثتها عن الآباء والأجداد وفعل الإجتهادات والتغيرات القائمة على الهوى والأغراض الشخصية أو الظنون والأوهام. هذا الأمر أدى إلى انقسام الناس إلى جماعات متعصبة وأحزاب متفرقة يقتل بعضهم بعضا ويشرده من دياره: «ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ لِيُذيقَهُمْ بَعْضَ الَّذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»[٣]

وأكد القرآن الكريم أن الله سبحانه لتنبيه الناس و وعظهم في الحياة الدنيا وللقضاء على أسباب الإختلاف وضع قانونين آخرين:

---

١. النساء: ٦٩.

٢. البقرة: ٣٠.

٣. الروم:٤١. و القصص:٤. و آل عمران:٧. و البقرة: ٧٨. و المائدة: ٩٠ – ٩١. و البقرة:١٧٠. و المائدة: ١٠٤.

أحدهما: قانون الإستغفار والتوبة والإنابة والعفو، ليكون أمام الإنسان فرصة الرجوع عن أخطائه الشخصية وأخطائه وجرائمه تجاه تفرق الأمة الإسلامية.

ثانيهما: قانون الإنتقام الدنيوي للجماعات عندما تتفاقم حالة الانحراف وتتزايد الذنوب والجرائم، ليكون هذا الإنتقام عبرة للأجيال القادمة والأمم الآتية: «وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذابًا شَديدًا قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»[1] ؛ «وَ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ الْعَذابُ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ»[2]

المبحث الثاني: أهم التعاليم الإسلامية والأسس القرآنية لرفع الضعف في ثقافة المسلمين

علاقة الثقافه بالتحول الاجتماعي

تعد الثقافة هي المحرك الرئيسي في التحول الاجتماعي، وفيها عوامل عديدة محركة لهذا التحول، فتعد ثقافة المجتمع منتجاً اجتماعيّاً، وتتشكل من مركّب يضم عناصر: الدين واللغة والقيم والأعراف والتقاليد والفن والأدب، بالإضافة إلى أنماط المعيشة التي تسود في المجتمع.

والثقافات وإن كانت تظهر وكأنّها ثابتة؛ إلا أنّها عرضة للنّمو وللتغيّر، وهذا التغيّر غالباً ما يكون بطيئاً؛ إلا أنّه ينتج تحولاً ثقافيّاً على الفترات الزمنية البعيدة، والثقافة كالكائن الحيّ؛ فقد تكون في وضع قوي أو ضعيف، إيجابيّة أو سلبية، مؤثّرة أو متأثّرة، وكلمّا ضعفت عناصر الثقافة كانت أكثر عرضة للتحوّل، ومن العوامل المحركة للتحول الاجتماعي:

التطور العلمي

ويتعرّض المجتمع لظروف مستجدة ولتغييرات بيئيّة، لعلّ أبرزها التطور العلمي الهائل خصوصاً في مجالي الاتصالات والإعلام، والتي جعلت ثقافتنا في احتكاك

١. الأعراف:١٦٤.

٢. الأنعام: ٤٩.

مستمر مع ثقافات أخرى؛ مما يقتضي تحولاً ثقافيّاً ملحوظاً، وكان هذا التحول يلحظ في السابق ببطء شديد؛ إلا أنّه غدا اليوم تحولاً سريعاً متنامياً.

وبعيداً عن الحكم على آثار هذا التّحول، وهل أفضى إلى ثقافة أفضل أو أسوأ، فليس أمام المجتمع إلا أن يتعامل مع التحوّل، الذي أصبح أثره حتميّاً على الظواهر الاجتماعية المختلفة، وإنّ هشاشة أداء الجهات الرسمية في القيام بواجبها تجاه التحول الثقافي، يرتب دوراً أساسيّاً على الدعاة والمربين والمصلحين والمفكرين وسائر النخب المجتمعيّة.

وفي الوقت الذي تبرز الثقافة الغربية كقائد لهذا التحول الثقافي؛ فإننا سنكون مستقبلاً أمام فواعل أخرى مثل الثقافة اليابانية والكورية وعلى نحو أقل الصينيّة؛ مما سيجعل شكل التحول الثقافي في منتهى التعقيد.

ولقد أثّر التحول الثقافي على العمليات الاجتماعية المختلفة: كالتنشئة، والضبط، والصراع، والتفاعل، والمنافسة، والتبادل، والانتشار، والحراك، ولعلّ التنشئة الاجتماعيّة والحراك الاجتماعيّ كان لهما النصيب الأكبر من هذا الأثر؛ إذ تعنى التنشئة بنقل الثقافة للآخر، فالمربي ينقل ثقافته للمتربي، والتي قد لا تتناسب والمعطيات الحاليّة، بل قد تتصادم أحياناً، كما أنّ الحراك الاجتماعي بنوعيه الرأسي الذي فيه تغيير في المكانة أو الأفقي الذي لا تتغير فيه المكانة أثّر في التحوّل الثقافي؛ لأنّ المكانة الاجتماعيّة – ذاتها – مستها آثار التحول الثقافي، ونلحظ أنّ التنافس أخذ يتسع بين الثقافات إلى حدٍّ بلغ الصراع.

كما نلحظ تأثير التحول الثقافي على الأدوار المتوقعة من الفرد فيما يشغل من مواقع في جماعته، فمثلاً ما يطلب حاليّاً من الوالد في الإنفاق على أبنائه ليس كما كانت عليه الحال سابقاً، وما كان ينظر له باعتباره كماليّاً أصبح من الحاجيّات؛ كتوفير خدمة الإنترنت والأجهزة الخلويّة والحاسب الآلي.

كما أسهم التحوّل الثقافي في تغيير نمط المشكلات الاجتماعية، ففي معظم الدول العربية زادت نسب الجرائم التي يرتكبها الأحداث والشباب، بل في الأردن مثلاً

تعد الفئة العمريّة من سن الثامنة عشرة إلى الخامسة والثلاثين هي الأكثر اقترافاً للجرائم، كما تمّ تسجيل مجموعة من الجرائم المستحدثة والتي لم تكن معروفة سابقاً؛ مثل الجرائم الإلكترونيّة.

كما أثر التحوّل الثقافيّ على موقفنا من بعض القضايا؛ وذلك تبعاً لتغير في المعايير أيضاً، ويمكن أخذ مثال من التحوّل الذي جرى في موقف عموم الإسلاميين من حزب العدالة والتنمية في تركيا، والموقف من ظهور المرأة في وسائل الإعلام، والموقف من الموسيقى، كما يمكن التساؤل عن ظاهرة انتشار المقاهي في الدول العربية، وتدخين النرجيلة، والتوسّع في مجالات عمل المرأة، والأمثلة على التحول في المواقف والمعايير كثيرة.

ويلفت الانتباه أنّه عند بدء افتتاح المطاعم الأمريكية للوجبات السريعة في بلداننا؛ تم ارتيادها ممن يعارضون السياسة الأمريكية في المنطقة، وينظرون إلى الشركات العابرة للقارات باعتبارها أدوات إمبريالية، وعند دراسة أسباب التراجع الشعبي لمقاطعة البضائع الأمريكية مع عدم وجود تغيّر في السياسات والانحيازات الأمريكيّة؛ نجد أنّ للتحول الثقافي دوراً مهماً في ذلك.

وقد أسهم التحوّل الثقافيّ في التغيير الاجتماعي، خصوصاً في دول شرق أوروبا، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، كما وفّرت وسائل التواصل الاجتماعي منبراً إعلامياً شخصيّاً للأفراد، وأدت دوراً أساسيّاً في الحراك الشعبي العربي.

في تعريف الثقافة في الفصل الاول تبين، أن الأصل في الثقافة هو الفكر والمعرفة، والفكر أساس في تعاليم الإسلام، يوجد الكثير من الارتباط بين الفكر والعمل. يقول علماء النفس بان الفكر والموقف يهديان سلوكنا، لأن إظهارات كلامنا من فكرنا و موقفنا.[1]

۱. روانشناسی کارص۳۵

أي أنه أذا تكلم الشخص، فهو يعبر عن فكرته، وهو أذا لم تكن في ذهنه فكرة محددة فلا يريد إظهارها، فلا يكون متكلما، ثم، يصبح سلوك الشخص، أي أن العمل الذي نقوم به هو بالفعل تعميم على لساننا، وتحدثنا مع أنفسنا أنها أصبحت تعمل الآن.

وكل شيء متكرر يتحول إلى عادة، واستمرارنا على الفعل يجعل من الممكن للملكة أداء هذا الروتين، مثل الأكل أو الدراسة. فكل عادة في البشر، تكّون شخصيته، على سبيل المثال، الشخص الذي اعتاد على الفرح والحب تتكون له شخصية على ذلك الشكل ، والذي يصبح معتادا على عدم الإنفاق، تتكون منه شخصية مشاكلة لتلك الحالة أيضا.

الشخصية التي تم إنشاؤها في الإنسان تصبح مصيره، فالتفكير يؤدي الى الكلام، والكلام يؤدي الى العادات، والعادات تؤدي الى الملكة، والملكة تؤدي الى الشخصية، والشخصية تؤدي الى المصير.

ولتحقيق التحول ، من الضروري في المرحلة الأولى أن يطور البشر أفكارهم، لأن هذا الفكر موجب للتحول.

لهذا السبب تؤكد المصادر الإسلامية على الاهتمام الكبير بالقوانين التي تستهدف التفكير والعقل، وأن يتحرك الانسان وفقا لها ،[1] كما قال تعالى: (وَيجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يعْقِلُونَ) (سوره اليونس ايه ١٠٠).وقال تعالى: (**أَفَلَمْ يدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءهُمْ ما لَمْ يأْتِ آباءهُمُ الْأَوَّلِينَ**) (سوره المومنون آيه ٦٨)

فعلى هذا الأساس يمكن يمكن الاستفادة من الثقافة الإسلامية التي هي على ابسط التعاريف: (النتاج الكليُّ من العقيدة والشريعة والعلوم والمعارف والحضارة التي نتجت عن الأمة الإسلاميّة، والتي ميزتها عن باقي الأمم من خلال التفاعلات التي حدثت لهذه الأمة بين الماضي والحاضر)[2].

١. قران نماد حيات معقول/ص٣.

٢. القوسي، مقدمات في الثَّقافة الإسلاميَّة ، ص ٣٦.

فإنها تميّز بشموليّتها وسِعتها حيث إنّها ترتكز في أصلها على القُرآن الكريم الذي هوَ كلامُ الله تعالى، وأحاديث السُنّةُ المُطهّرة، وآلاف المصادر من اجتهاد الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والفلاسفة وعلماء المسلمين في شتى مجالات الحياة. وتتميّز كذلك بالقُدرة على تقديم الحُلول لمُشكلات العصر، لأنّ الدين الإسلاميّ صالحٌ لكلّ زمان ومكان، وبالتالي فإنَّ أي مُشكلة تبرزُ على السطح فإنّ الإسلام لديهِ الحُلول الشافية والكافية لها، سواء كانت هذهِ المشاكل اقتصاديّة أم اجتماعيّة أم سياسيّة. وتتميّز الثقافة الإسلاميّة بالمُرونة والقُدرة على التكيّف مع مُعطيات الحياة؛ لأنّ شريعتنا هيَ شريعةٌ متوازنة تجمع بين الحاجات الروحيّة والحاجات الماديّة، فليسَ في الدين حجر على الإنسان أو تضييق على حريّته، بل هوَ دينٌ فيهِ من التنوّع ما يجعلهُ (الدّين الفطريّ) الذي يتناسبُ مع الناس جميعاً. وتتميّز الثقافة الإسلاميّة بالاعتدال وتقف وسطاً بين الثقافات، بين الإفراط والتفريط، ولأنّ الوسطيّة منهجُ الإسلام فقد جاءت تُخرج أجيالاً مُعتدلة التفكير بعيدة كُلَّ البُعد عن التطرّف الفكريّ أو الإرهاب الذي ينتج تبعاً للأفكار الهدّامة والمُتطرّفة، والتي يتبرأ منها الإسلام وأهلُه وينبذونها قلباً وقالباً. وتنطلق الثقافة الإسلامية في نشاطها مع الثقافات الأخرى في الساحة الدولية، على مجموعة من المبادئ أسسها القرآن الكريم، التي من أهمها:

١. الكرامة

لقد كرَّم الله تعالى بني آدم كلَّهم، ورزقهم من الطيبات، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً، فتأصَّلت الكرامة في الأصل الإنساني تأصيلاً، فتكريم الله لعباده هو تشريف لهم ما بعده تشريف. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

الدلالة القرآنية للكرامة تنبع من التشريف، ومن التفضيل، ويرد ذلك في سياق

١. القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

التذكير بفضل الله ونعمته على العالمين. لقد وردت في القرآن الكريم هذه الدلالة في سبع آيات تنبني على الفعلين "كرَّم" و"أكرم"، بينما تكررت صفة "الكريم" في القرآن ثلاثا وعشرين مرة، ووردت بصيغة النعت ثلاث مرات، ووردت بصيغة الجمع ثلاث مرات، وبصيغة التفضيل مرتين، وبصيغة المصدر (الإكرام) مرتين، وبصيغة اسم المفعول ثماني مرات[1]. وفي هذه السياقات جميعاً لا تخرج الدلالة القرآنية للكرامة عن إطار المعاني الثلاثة، التشريف، والتفضيل، والتذكير بالإنعام الإلهي، مما يرسخ في الوجدان أن الكرامة أصل أصيل في النوع البشري، وهي عنصر رئيس في تركيب الطبيعة الإنسانية منذ أن خلق الله آدم.

فدلالة الآية القاطعة، على أن التكريم هو التفضيل، وأن الله شرَّف ذرية آدم على جميع المخلوقات بالعقل، والعلم، والنطق، وتسخير جميع ما في الكون لهم. وإن الإنسان مكرم، بصرف النظر عن أصله وفصله، ودينه وعقيدته، ومركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعية، إن الله خلقه مكرّماً، ولا يملك أحدٌ أن يجرده من كرامته التي أودعها في جبلَّته وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله وبمحمد ابن عبد الله رسول الله ونبيه، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له. فالكرامة البشرية حقٌّ مشاعٌ يتمتع به الجميع من دون استثناء. وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف.

والنتيجة التي نستخلصها بأن مبدأ الكرامة الإنسانية: هو تفضيل الإنسان على كثير من الخلق، ولزوم رعاية حقوقه الإنسانية. وهذه النظرة للإنسان لابد أن تنعكس على كل التشريعات، ومنها تشريعات العلاقات الدولية، وعدم العمل بأي تشريع فيه إهانة للإنسان وإذلال له، أو تمييزه عن غيره من بني جنسه، مما يؤدي إلى استعلاء بعض الجماعات على غيرها، وبالتالي استغلال الأقوياء لثروات الضعفاء وخيراتهم، وحرمانهم منها بحجة أنهم أمم من درجات دنيا. وقيام العلاقات بين الدول على هذا

١. محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (كرم).

الأساس وهو احترام إنسانية الإنسان، من أجل استغلال كل ملكاته ومواهبه، في البناء والتعمير.

٢. التعاون

لا يمكن لإنسان وحده أو جماعة وحدها استخراج كل كنوز هذا الكون وخيراته، فهذا أمر غير ممكن، من أجل ذلك شُرِع التعاون كمبدأ يحكم سلوك الأفراد بوصفهم أفراد، وكأساس يقوم عليه التعاون البشري. حيث هذا التعاون ركيزة من ركائز بناء الأرض وتعميرها، وهو أهم وسائل استثمار الخير المودع في نفوس البشر، وطريق يؤدي إلى الاستفادة من كل القدرات والإمكانيات البشرية على اختلافها وتنوع مجالاتها.

وأكد القرآن الكريم على لزوم التعاون الإنساني بين شعوب العالم على أساس البر والتقوى، بلا تمييز بسبب الجنس والدين واللغة، وفي المقابل منع التعاون على أساس الإثم والعدوان. كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]، فأن التعارف هو مقدمة للتعاون بين البشرية.

أصبح مبدأ التعاون الإنساني في عالمنا المعاصر مبدأ أساسي في العلاقات الدولية، وقد أكد عليه ميثاق الأمم المتحدة؛ بأن تقوم العلاقات الدولية على مبدأ التعاون الدولي بين أعضاء المجتمع الدولي، عن طريق التعامل المتبادل، كإبرام المعاهدات الدولية الثنائية ومتعددة الأطراف والجماعية، وإنشاء المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، وفي جميع مجالات التعاون كالمسائل الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والإنسانية، و...الخ.

١. القرآن الكريم، سورة المائدة، من الآية ٢.
٢. القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية ١٣.

٣. التعامل الأخلاقي

باستقراء أدلة التشريع الإسلامي كلها، نستطيع أن نقول إن الإسلام دين يدعو إلى الأخلاق والفضيلة، وينهى عن الرذيلة، وأن هذا الأمر بادٍ بوضوح في غالب تشريعات الإسلام وأحكامه، فالأخلاق هي حق يجب أن يُعامل به كل إنسان، بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه، وبغض النظر عن مكانته الاجتماعية، وكذلك فالأخلاق يجب أن تكون أساساً من أساس التعامل فيما بين أفراد المجموعة الدولية كما تقرر في الإسلام، حيث النصوص الشرعية جميعاً لم تفرق في هذا المجال بين الفرد والجماعة. وفي الإسلام الأخلاق أمر عالمي؛ يعني أن تطبيقها لا ينحصر في مكان دون مكان آخر، فما كان خلقاً محموداً في بلاد المسلمين، فهو كذلك في غيرها، وما كان خلقاً مذموماً في بلاد المسلمين فهو كذلك في غيرها.

وعليه فأن الأخلاق كما هي ضرورية في علاقات الناس العادية وحياتهم الاجتماعية والشعور المجتمعي ودورها في تنظيم وترتيب العلاقات الإنسانية في المجتمع, هي كذلك ضرورية للعلاقات بين الدول ويخول لها نفس الدور. ومن الأدلة القرآنية على مبدأ التعامل الأخلاقي ما يلي: قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[٢]. وقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣]. وكذلك قول

١. القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٩٠.
٢. القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ١.
٣. القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٥١.

الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

إن الأثر الذي يقصده الإسلام من خلال الأمر باتباع قواعد الأخلاق في التعامل الدولي، سواء كان ذلك أثناء السلم أو أثناء الحرب، هو تهذيب السلوك الدولي، ومحاولة دفع الظلم الذي قد يقع على المجتمعات البشرية نتيجة السلوك المجرد عن الأخلاق[2]. وإن حدود مبدأ التعامل الأخلاقي في الشريعة الإسلامية بصورة عامة هو أن المجتمعات غير الاسلامية لا تخرج عن أحد قسمين: فهي إما مجتمعات تحترم حقوق المسلمين، أو مجتمعات لا تحترم حقوق المجتمع الاسلامي بل هي في صدد القضاء على النظام الاسلامي وربما الدين الاسلامي ككل. فنطلق على مثل هذه المجتمعات اسم (المحاربين). أما المجتمعات التي ترعى حقوق المسلمين، فيمكن أن تتحدد العلاقة بينهم وبين المسلمين، طبقاً للمعايير الكلية في القيم الاجتماعية، كأصل (العدالة) أو أصل (الإحسان)، ويرجع في حالة التزاحم بين هذه الأصول إلى أصول (الأولوية)[3]. والنتيجة التي نستخلصها بأن (مبدأ التعامل الأخلاقي) مبدأ يساعد على إقامة مجتمع مندمج يصبح أساس البناء القيمي لأعضاء المجتمع الدولي، ويسعى الى تأهيل دور الأخلاق إلى المستوى الذي تصبح فيه راسخة بدرجة عالية في المؤسسات الدولية، وتصبح جزءا من البيئة الاجتماعية لصناع القرار السياسي، إلى الحد الذي لا تصل فيه المصالح والأهداف المتعارضة إلى مرحلة حادة تؤدي إلى احتمال نشوب الحروب.

۴. تأليف القلوب

تأليف القلوب لغوياً يعني إيجاد الألفة المعنوية بين القلوب. وفي المصطلح يفيد

---

١. القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٣٣.

٢. أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م، ص٣٢.

٣. مصباح اليزدي، القيم الأخلاقية ودورها في العلاقات الدولية من المنظور الإسلامي. ص١.

معنى تقديم الدعم المادي والمعنوي للمسلمين الرازحين تحت نير الظلم، أو ضعيفي الإيمان، إضافة الى الكفار المظلومين الذين إذا ما تمت تقويتهم من الممكن أن يقفوا الى جانب الحكومة الإسلامية، أو الامتناع عن الائتلاف والتحالف مع أعداء البلد الإسلامي، ما يعبر عنها اليوم بـ(القوة الناعمة)[١].

مبدأ تأليف القلوب يعتبر جزء من مفهوم القوة الناعمة، يختص في جانب جذب التودد للإسلام. والقوة الناعمة مصطلح جاء به البروفسور جوزيف ناي. يستخدم في نطاق نظرية العلاقات الدولية، ليشير إلى توظيف ما أمكن من الطاقة السياسية، بهدف السيطرة على سلوك واهتمامات القوى السياسية الأخرى المستهدفة من خلال وسائل ثقافية وأيديولوجية. يقول جوزيف ناي: القوة الناعمة تجعل من الآخر يريد ما نريد من دون إرغام! كما وإنها العنصر الثابت في السياسة الديمقراطية، والمعين الأساس للقوة الصلبة. ومن تطبيقات مبدأ تأليف القلوب في السياسة الخارجية الإسلامية ما يلي:

١- دعم المسلمين: تقديم الدعم المادي والمعنوي للإسلاميين بدافع مضاعفة قدرتهم على الثبات والمقاومة في التصدي للغاصبين والذين يتدخلون في شؤون الآخرين. وبدافع تحقيق هدف وحدة العالم الإسلامي.

٢- دعم المستضعفين وحركات التحرر: بمعنى دعم حركات التحرير والتحرر، وتحركات المستضعفين الذين انتفضوا للتخلص من العبودية والخنوع، ومقاومة أنواع الاعتداء والاستعمار وإنقاذ بلدانهم من مطامع الامبريالية.

وعليه (مبدأ تأليف القلوب) أحد المبادئ والأصول المهمة في السياسة الخارجية الإسلامية الذي يعتبر عامل أساسي وموجه للسياسة الخارجية في الحكومة الإسلامية، في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمسلمين وغير المسلمين من أجل جذبهم للإسلام وحماية الحركات التحررية للشعوب المستضعفة. ومن خصائص مبدأ تأليف القلوب في القرآن الكريم، ما يلي:

١. مظاهري طهراني، الإمام الخميني والنظام الدولي. ص٥٧.

١- تأليف القلوب بقدرة الله تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[١].

٢- تأليف القلوب عن طريق المال: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٢].

٣- تأليف القلوب عن طريق الأخلاق الحسنة: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}[٣]. {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[٤].

٤- تأليف القلوب عن طريق نصر الضعفاء: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ}[٥].

٥- عدم تأليف القلوب يوجب التفرقة والهلاك: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم}[٦].

٥. التعايش السلمي

لا شك أن حصيلة الحرب دائماً هي الدمار وإتلاف الأنفس والأموال وتخريب المدن والعمارة، وتأصيل العداوات والبغضاء. ولذا كان مبدأ التعايش السلمي هو خيار كثير من الأمم في علاقاتها الدولية، والاجتناب عن الحروب بقدر الامكان، واستغلال

---

١. القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية: ٦٣.
٢. القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: ٦٠.
٣. القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
٤. القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
٥. القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية: ٧٢.
٦. القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

القوى البشرية والمنح الالهية في طريق اعمار المجتمعات . وقد حث الإسلام على ضرورة مبدأ التعايش السلمي في علاقاته الدولية مع الأديان الأخرى، وعدم اللجوء الى الحرب الا في الحالات الضرورية والدفاعية. إن بنيوية فكرة السلام وأصالتها في الرؤية الإسلامية على كافة المستويات؛ ابتداءً من الفرد، مروراً بالأسرة والجماعة والمجتمع والدولة، وصولاً الى النطاق العالمي بأسره[١]. إنها رؤية متكاملة يدعو الإسلام للنظر من خلالها الى العالم باعتباره كلاً متناسقاً، والسلام قرين التناسق، ولا تأتي الحرب إلا بالخروج من هذا التناسق بالبغي والظلم، أو الفساد والتنازع؛ فترده الحرب الموقوتة إلى السلام الدائم من جديد، وبالتالي فإن الحرب هي الاستثناء، والصراع هو الخروج على القاعدة. ومن خصائص مبدأ التعايش السلمي في القرآن الكريم ما يلي:

١- السلم من لوازم التعارف بين الشعوب: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ}[٢]، التعارف هو الأصل الجامع للشعوب والقبائل والأجناس، فالسلام لازم من لوازمه، وهو الأساس لكل تعارف، فلا تعارف مع الخصام والتناحر، والتحارب. والتعارف يكون معه التعايش الأخلاقي والتعاون وإقرار السلام.

٢- لزوم التعايش السلمي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}[٣]. الأصل في علاقات الدول بعضها مع بعض أو بعبارة أدق العلاقة بين المسلمين وغيرهم في السلم لا الحرب، فالمسلم ينظر إلى من يخالفه نظرة الود الراحم، لا العداوة القاطعة.

٣- لزوم قبول طلب الصلح: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ

١. سيد قطب: السلام العالمي والإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٧م، ص١٢٨.

٢. القرآن الكريم، سورة الحجرات، آية: ١٣.

٣. القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[١]. الإسلام يتشوّف للسلم يبتغيه، ولا يريد الاستمرار في مذبحة، فإن مالوا للسلم أجابهم المسلمون.

٤- لزوم الوفاء بعهد الصلح: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[٢].

٥- لزوم وقف القتال بنهاية الاعتداء: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}[٣].

٦- لزوم وقف القتال بانسحاب العدو: (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)[٤].

٧- لزوم وقف القتال في أشهر الحرم: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[٥]. فرض هدنة إجباريّة على المسلمين إنِ التزم بها المخالفون، وهي ألَّا يكون قتال في الأشهر الحرم إلَّا أن يكون امتدادًا لقتال والسكوت يضر.

٨- لزوم أعداد القوة لحفظ السلم: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ}[٦]. الإسلام أمر بأعداد القوة كي يرهب الأعداء ويمنعهم من الاعتداء على المسلمين

١. القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية: ٦١.
٢. القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: ٤.
٣. القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ١٩٣.
٤. القرآن الكريم، سورة النساء آية :٩٠.
٥. القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: ٣٦.
٦. القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

ويحفظ استقرار السلام الدائم.

يلاحظ من نصوص القرآن دلالتها على أن أشنع عمل للإنسان في علاقته بغيره (سفك الدماء، وإرادة العلو في الأرض، والفساد فيها) حيث ورد في القرآن أكثر من مائة وعشرين موضعاً تذم القتل بغير حق والعلو في الأرض والفساد فيها، منها:

١- قال تعالى : (قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء)[١].

٢- قوله تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)[٢].

١. القرآن الكريم، سورة البقرة آية : ٦٣.

٢. القرآن الكريم، سورة المائدة آية : ٣٢.

المصادر

۱. القران الكريم

۲. نهج البلاغة

۳. أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، ۱۹۹۵م.

۴. احمد أسكندري ومحمد ناصر بوغزالة، محاضرات في القانون الدولي العام، القاهرة.

۵. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، ۱۹۷۹، دار الفكر.

٦. انشاء الله رحمتي: انسان وتنگناهاي انسان متجدد، تهران، دفتر پزوهش ونشر سهروردي، ط ۱، ۱۳۸۳ش.

۷. الأنصاري، فاضل، قصة الطوائف، الإسلام بين المذهبية و الطائفية، ط ۱، دمشق ۲۰۰۰م.

۸. بحران نو گرايى و فرهنگ سياسى در ايران معاصر، سيد على اصغر كاظمى، ص۱۳.

۹. بخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، شرح مصطفى ديب البغا، بيروت و دمشق، دار ابن كثير، اليمامة للطباعة و النشر، چاپ پنجم، ۱۴۱۴ق.

۱۰. البعلبكي، منير، المورد قاموس إنجليزي – عربي، بيروت، ۱۹۶۷، ط ۱، دار العلم للملايين.

۱۱. تسخيرى، محمد على، حول الوحدة و التقريب، مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى، مديريت مطبوعات و نشر، تهران، ۱۳۸۳.

۱۲. تسخيرى، محمد على، موانع فى طريق التقريب، موقع المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ۲۰۱۰ م.

١٣. تغيرات اجتماعی ، گی روشه، ترجمه دکتر منصور وثوقی، ویرایش دوم، چاپ ٢١، تهران نشرنی، ص٢٦-٣٠.

١٤. جامعه وتاريخ از ديدگاه قران، علامه مصباح يزدی، چاپ ونشر بين الملل، چ چهارم.

١٥. الخطيب، عمرعودة، لمحات في الثَّقافة الإسلاميَّة، بيروت، ١٩٧٩، ط٣، مؤسسة الرِّسالة.

١٦. د. أحمد حمدي محمود: الحضارة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م.

١٧. د. حسين مؤنس: الحضارة (دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها) ط٢، سلسلة عالم المعرفة، ٢٣٧، الكويت، ١٩٩٨م، الصفحات ٣٩٤- ٤٠٢. و مالك بن نبي: مشكلة الثقافة.

١٨. د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، بلا ت.

١٩. د. نصر محمد عارف: الحضارة- الثقافة- المدنية.

٢٠. الدكتور مصطفى مسلم، والدكتور فتحي محمد الزغبي: الثقافة الاسلامية (تعريفها، مصادرها، مجالاتها، تحدياتها)، اثراء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧م.

٢١. الراغب الاصفهاني: المفردات، مادة (ثقف)، ص ١٠٧. و ابن منظور: لسان العرب، المجلد التاسع، بيروت، دار صادر، مادة (ثقف)، ج٩.

٢٢. روانشناسی کار، حمزه گنجی، نشر ساوالان، ١٣٨٣، ص٣٥.

٢٣. الزمخشري: آساس البلاغة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٢٤. زنجاني، عباس علي عميد، فقه سياسي، ايران، تهران، امير كبير.

٢٥. سايمون كولمن و هيلين واطسون:درامدی بر انسان شناسي، ترجمه: محسن ثلاثي، سيمرغ، تهران، ط١، ١٣٧٢ش.

٢٦. سيد حسن نصر: تأملاتي درباره انسان وآينده تمدن، ترجمه: مرتضى فتحي

زاده، پزوهشهای علوم انساني (فصلنامه دانشگاه قم)، سال أول، شماره چهارم، ۱۳۷۹ش.

۲۷. سید حسن نصر: علم وتمدن در اسلام، ترجمه: احمد ارام، تهران، شركت انتشارات علمي و فرهنگي، ط۲، ۱۳۸٤ش.

۲۸. سید قطب، السلام العالمي والإسلام، القاهرة، ۱۹٦۷م، مكتبة وهبة.

۲۹. شكوري، ابو الفضل، فقه سياسي، ايران، قم، ۱۳۶۱ش، دفتر تبليغات اسلامي.

۳۰. الشنقيطي، محمد الأمين الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، مطبعة المدني. الطبعة الأولى، ۱۳۸٦ه.ق.

۳۱. صالح، صبحی، نهج البلاعة ، مؤسسه ی دار الهجرة، قم، بی تا.

۳۲. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، تحقيق: الشيخ حسين الاعلمي لبنان، بيروت، ۱۹۹۷، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

۳۳. عبد الاله علي البلداوي: الدور الجضاري للشيعة الامامية، الطبعة الاولى، ۲۰۱۲م، ج۱.

۳٤. عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ۱٤۰٤ه – ۱۹۸٤م .

۳۵. العمري، نادية شريف. أضواء على الثَّقافة الإسلاميَّة، بيروت، ۲۰۰۹م، ط۱، مؤسَّسة الرِّسالة.

۳٦. فرهنگ و تمدن اسلامی، علی اکبر ولایتی ، نشرمعارف، چ۳۲، ۱۳۹۰ص٦۵

۳۷. فؤاد السعيد ، و الدكتور فوزي خليل: الثقافة والحضارة ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الاولى، ۱٤۲۹هجري- ۲۰۰۸م.

۳۸. قران نماد حیات معقول، محمد تقی جعفری تبریزی، ج۱، موسسه تدوین ونشر اثار علامه جعفری، تهران۱۳۸۴، چ۳.

۳۹. القوسي، مفرح بن سليمان، مقدمات في الثَّقافة الإسلاميَّة، الرياض ۱۴۲۴ هـ ط۳.

٤٠. الكليني، محمد بن يعقوب،أصول الكافي، دار المرتضى للطباعة، ٢٠٠٥م.
٤١. گفتگوی فرهنگ ها و تمدن ها، محمد على مهيمنى، ص١٧.
٤٢. مازندرانى، محمد صالح بن احمد، شرح الكافي، الأصول و الروضة(للمولى صالح المازندراني)، تحقيق شعرانى، ابوالحسن، چاپ اول، المكتبة الإسلامية، تهران، ١٣٨٢ ه.ق.
٤٣. مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، بلا ت.
٤٤. مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مشكلات العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤م.
٤٥. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت، دار الفكر، بلا ت.
٤٦. مبانى انسان شناسى، محمود روح الامين، ص١٣.
٤٧. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، ج١، ص٩٨، مادة ثقف.
٤٨. مجموعه آثار، مطهرى، مرتضى، ج٢، ص٣٣١ "جامعه و تاريخ"
٤٩. مجيد محمدي: درامدى بر جامعه شناسي واقتصاد فرهنك در ايران امروز، قطرة، طهران، ط٢، ١٣٧٧ش.
٥٠. محمد رضا كاشفي، تاريخ الثفافة والحضارة الاسلامية، تعريب: انور الرصافي، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم، ١٩٩٢ش.
٥١. محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية.
٥٢. مراحل اساسى انديشه در جامعه شناسى، روشه، پيشين؛ ريمون آرون، ترجمه باقر پرهام، (تهران: سازمان انتشارات و آموزش انقلاب اسلامى، ١٣٦٦ ص٢١.
٥٣. مصباح اليزدي، القيم الأخلاقية ودورها في العلاقات الدولية من المنظور الإسلامي. مجلة الحكومة الإسلامية، عدد ٢٧.

۵۴. مظاهري طهراني، ناصر، الإمام الخميني والنظام الدولي، تعريب، منير مسعودي، طهران، ۲۰۰۶م مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.
۵۵. معيني، جهانگير، نظريه و فرهنگ، تهران: مركز مطالعات تحقيقاتي فرهنگي بين المللي، چاپ اول، ۱۳۷۴.
٥٦. نظریه های بنیادی جامعه شناسی، لوئیس کوزر، ترجمه فرهنگ ارشاد، ص۶۵.
۵۷. نظريه و فرهنگ، معيني، جهانگير، تهران، مركز مطالعات تحقيقاتي فرهنگي بين المللي، چاپ اول،۱۳۷۴، ص ّ۱۱۴.
۵۸. واژه نامه فلسفه و علوم اجتماعی، ص۱۵۲
۵۹. واعظ زادة خراسانی، محمد، الوحدة الإسلامية عناصرها و موانعها، چاپ سیرآقائی، تهران، ۱۳۷۹ه.ش.